

الأهم: «نفضت المرأة» أي كثر أولادها، و«المرأة النَّفُوض» هي المرأة الكثيرة الأولاد، أي المرأة التي لا تكف عن الإنجاب تماماً مثل الأنثى الفلسطينية، وانظر كذلك إلى تعبير مثل: «نفض عنه الكسل»، و«نفض عنه الهم»، وكذلك «انتفض واقفاً» وهي كلها اصطلاحات تعني أن ما يحدث الآن كان هناك دائماً.

ونحن هنا لا نرفض كل المصطلحات والكلمات الغربية، ولا نطالب بضرورة اتخاذ «بدائل» عربية لها، فهذا في تصوري تردّد كامل وتقبل غير مشروط للنموذج المعرفي الغربي، بل ويساهم في ترويجه، إذ إنه يعطيه وجهاً عربياً إسلامياً يخبيء واقعاً غربياً. وهذا الموقف يشبه من بعض الوجوه مهندس الديكور الذي يبني شقة غربية في جميع الوجوه، ثم يضيف لها «حتة أرابيسك» أو «ركن عربي» ليمسك بتلابيب هوية آخذة في التآكل. أنا لا أتحدث عن بدائل (وكان المصطلحات قطع غياراً)، وإنما أطالب بنموذج معرفي متكامل ونسق لغوي يعبر عنه، ونقطة ابتداء مغايرة لرصد واقعنا وواقعهم. وهذا النموذج الجديد لا يرفض النماذج الأخرى، بل على العكس يفتح عليها كلها دون خوف أو وجل، لأنه واثق من نفسه.

وظاهرة «الثورة» يمكن دراستها داخل التشكيل الحضاري الغربي وداخل التشكيلات الأخرى، ونذكر مضامينها العديدة وقوانينها المتنوعة (فالثورة ليست ظاهرة طبيعية بسيطة لها قانونها المادي العام)، ونتفاعل معها، ونأخذ منها دون التخلي عن خريطتنا المعرفية. إنني أحترم خصوصيتي مثلما أحترم الخصوصية الغربية وكل الخصوصيات الأخرى التي سأدركها. وفي تصوري أنني من خلال إدراكي خصوصيتي سأدرك خصوصية الآخرين. واصطلاح «ثورة» كما هو متداول يتسم إما بكثير من العمومية، أو بكثير من الالتصاق بالتجربة الغربية في التمرد على الظلم، ولذا فهو لا يصلح لوصف التجارب المغايرة بسبب عموميته الزائدة وخصوصيته المتطرفة. أي أنه ليس اصطلاحاً علمياً، وتبنيه لمحاولة وصف ظواهر في المجتمع العربي يمثل محاولة فرض مفاهيم واصطلاحات من التاريخ الغربي على أحداث التاريخ العربي. يجب أن ندرس، منطلقين من خصوصيتنا، التجربة